مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد السادس عشر - محرم - ربيع الأول ١٤٢٧هـ فبراير - إبريل ٢٠٠٦م

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية
١٤١٨هـ ١٩٩٧م

١٦

- علاقة المسلمين بالقبائل المحيطة بالمدينة في العهد النبوي
- الخصائص الطبيعية لموقع معركة بدر وأثرها في أحداث الغزوة
- طريق جيش المسلمين إلى بدر
- طريق جيش المشركين إلى بدر
- الآثار الأمنية لغزوة بدر

التوثيق الميداني
- إصدار خاص -
غزوة بدر

نظرات في غزوة بدر

كلمة د. محمد عبده يماني

نتحدث اليوم عن عدد من الأحداث الإسلامية العظيمة وتأتي في مقدمتها حادثة نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وهو يتحنث في غار حراء ، وكان أمراً عظيماً، اشعر ﷺ عظم المسئولية ؛ وأسرع إلى زوجه السيدة الكريمة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها يقول لها: دثريني زمليني ، وإذ بها تقول في إيمان : « والله لن يخزيك الله أبداً ، إنك لتَصِل الرَّحِم ، وتُقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر» ، ثم دثرته وزمّلته رضي الله عنها .

ومن هنا يتبين خطأ من يظن أنّ السيدة خديجة رضي الله عنها إنما دعمت الرسول ﷺ بالمال وحسب ؛ لقد قدمت له كل شيء ، الحب ... الحنان ...الجاه ... المال ...، لهذا كان وفياً معها حياتها، حزيناً على فراقها، وظل يردد قوله الكريم : « رُزقتُ حُبها ، فأنا أحبها وأحب مَن يحبها » ، وهي الوحيدة التي نزل عليه الصلاة والسلام في قبرها .

والحدث الثاني في سلسلة الأحداث الإسلامية العظيمة هو الهجرة .. وأعني بها الهجرة إلى المدينة المنورة بعد أن ضيق مشركو قريش على رسول الله ﷺ والمسلمين حتى جاء الإذن بها ، فخرج عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة وفق استراتيجيات دقيقة ، وسرية تامة ، فقد أخفى الرحلة حتى عن أبي بكر الصديق ﷺ إلى أن جاء الموعد ، وتحرك الركب المبارك إلى غار ثور ، ومنه إلى المدينة.

لقد أعطتنا تلك الرحلة بكل ما جاء فيها من معجزات وأحداث دروساً عظيمة، وأول هذه الدروس ذلك الإيمان الذي غرسه ﷺ في نفس كل مسلم إلى يوم القيامة، عندما كان في غار ثور، ووقفت جموع المشركين على بابه ، ولم يكن بينهم وبين أن يصلوا إليه إلا أن يطأطئ أحدهم رأسه إلى موضع قدميه فينظر في الغار، وفي هذه الساعة الحرجة يُسِرّ أبو بكر الصديق ﷺ في أذُن رسول الله ﷺ قائلاً : يا رسول الله ، لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا .. ، فيأتي الجواب : «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثالثهما !» ، لأنّ استشعار معية الله تعالى تستوجب أن لا يخشى المرء شيئاً . ورأت الجموع المطاردة خيوط العنكبوت التي أمرها الله سبحانه أن تنسجه على باب الغار ، فلم يصدقوا أن رجلاً أو رجلين يستطيعان دخول الغار رغم وجود هذا النسيج من العنكبوت، ونظروا في الدليل المري الذي قادهم إلى هذا المكان، فقال لهم الرجل في استغراب: وصل إلى هنا ، ولا أدري إن كان هبط إلى الأرض أو صعد إلى السماء.

ثم جاء الحدث العظيم الثالث وهو غزوة بدر الكبرى التي حدثت في السنة الثانية بعد الهجرة إلى المدينة ، ولم يكن خروج النبي ﷺ إلى بدر بقصد الغزوة ابتداء، ولكنه أراد بعد وصوله إلى المدينة المنورة وتأسيس البناء الأول ؛ أن يشعر أولئك القوم في مكة أن معسكر المدينة لم يعد بالمعسكر الضعيف ، كما أراد أن يردّ بعض الظلم والقسوة التي وقعت على المسلمين ، فخرج يتعرض لقافلة قريش ليشعر معسكر مكة بأن معسكر المدينة لن يقبل ذلك الظلم وذلك التعدي ، ولذا لم يخرج معه كل من في المدينة ، وإنما خرج معه عدد قليل في حدود ٣١٣ وقيل: ٣١٤ ، وعسكر بهم على مشارف المدينة، وأحصاهم، وتفاءل عليه الصلاة والسلام بهذا العدد وقال : «هذا عدد جنود طالوت عليه السلام»، يشير إلى عدد الذين كانوا معه في القتال عندما هزموا الفلسطينيين.

وتوجه المسلمون إلى بدر وفي الطريق وصلت الأنباء إلى رسول الله ﷺ بنجاة القافلة التي خرج من أجلها، وبقدوم جيش كبير من المشركين إلى بدر، وشاءت إرادة الله أن تتحول الأمور من تعرض للقافلة إلى معركة خالدة.

وهنا نرى كيف تصرف الحبيب ﷺ بغاية الحكمة والحنكة ، فلم يستبدّ برأيه ، وإنما استشار أصحابه ليعلم مدى جاهزيتهم للقتال وإيمانهم بعدالة قضيتهم، وهذا أول الدروس العظيمة. والدرس الآخر هو : صدق ما أخبر به ﷺ فيما يرويه عن ربه : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار ». فقد تحقق ذلك في صناديد قريش الذين أخذتهم العزة والغطرسة رغم علمهم بنجاة العير[1] التي قدموا من أجل حمايتها، وإشارة أبي سفيان عليهم بالرجوع، وقال أحد

(١) وكان أبو سفيان قد سبق القافلة إلى ماء بدر وتحسس أباعر الإبل التي حول الماء وقال في حصافة : هذه أعلاف يثرب ، وهرب من مكانه بين الحنان وبين بدر والذي يسمى إلى اليوم الملص ، وقد لا يعرف كثير من الناس بأنه سمي بذلك لأن أبا سفيان ملص منه باتجاه البحر ونجا بالقافلة.

صناديدهم : لا والله لن نرجع حتى نرد ماء بدر ، فننحر الجزر ، ونشرب الخمور ، ونضرب الدفوف ، وتغني لنا القيان ، ويعلم الناس بمجيئنا فلا يزالون يهابوننا أبد الدهر. وتحركوا من العقنقل لحتفهم إذ لم يكونوا يتصورون أن هذه الفئة القليلة سوف تسحقهم وتذل كبرياءهم وتبدد أحلامهم.

ومن فضل الله عزّ وجلّ أن المعركة حُفظ مكانُها ، وكل من يذهب إلى بدر يرى العدوة الدنيا التي جاء منها الرسول ﷺ ودخل إلى بدر ، عند كثيب الحنان، وهو كثيب رملي ضخم ، والعدوة القصوى عند العقنقل التى نزلت فيها قريش ، كما يرى المكان الذي اقترح الصحابة على الرسول عليه الصلاة والسلام أن يجعلوا له فيه عريشاً ؛ وقد بُني اليوم مكانه مسجد ، وهو مسجد العريش .

وتستطيع أن ترى قبور شهداء بدر وتزورهم ، وتستطيع أن تشاهد المكان الذي صف فيه الرسول ﷺ الصحابة ، وتتذكر ذلك الموقف العظيم الذي جسد العدل والمحبة في وقت واحد ، فبينما كان الرسول ﷺ يسوي صفوف الصحابة بقضيب كان في يده إذ رأى سواد بن غزية خارجاً عن الصف فدفعه بالقضيب على بطنه وقال: استو يا سواد . فاستغل سواد ﷺ هذه الفرصة وقال : يا رسول الله أوجعتني. قال : وماذا تريد ؟ ، قال : أريد أن اقتص لنفسي . والصحابة ينظرون إليه ولا يستطيع أحد أن يتكلم بوجود الرسول ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : تعال فاقتص لنفسك. فقال : لا يا رسول الله ضربتني وبطني عارية. وازداد الصحابة غضباً ، ولكنّ الهادي البشير كشف عن بطنه الشريف ، فانكب عليه سواد يقبله ، فقال ﷺ : ما دعاك لهذا يا سواد ؟ قال : رأيت ما حضر فأحببت أن يكون آخر عهدي هو أن يمس جلدي جلدك يا رسول الله . فدعا له النبي ﷺ.

ومن الدروس العظيمة التي سطرتها معركة بدر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربه ، وإلحاحه في الدعاء رغم البشارة التي جاءته بنصر المسلمين، فعندما كان في العريش ونظر إلى التحام الصفوف ؛ رفع يديه بالدعاء حتى رأى أبو بكر الصديق بياض أبطيه وهو يقول : اللهم أنشدك وعدك الذي وعدت ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض. فقال أبو بكر وهو الصديق الصدوق : يا رسول الله هوّن عليك ، إن الله منجز وعده. وذلك شفقةً منه على رسول الله لما رأى من

شدة اجتهاده وإلحاحه في الدعاء ، ولكنّ لسان حال رسول الله ﷺ يقول : مهما كنت على ثقة من أمر ، فلا بد من اللجوء إلى الله سبحانه في السر والعلانية ، في القوة والضعف ، وهذا من أعظم الدروس التي علمها رسول الله ﷺ لهذه الأمة.

ثم نأتي لقضية جوهرية أخرى تبيّن صدق نبوّة رسول الله ﷺ ، ففي ليلة المعركة نبّأ عليه الصلاة والسلام الصحابة عن مصارع الذين سيقتلون من صناديد قريش بقوله : « هذا مصرع عتبة وهذا مصرع شيبة ... » ، ويقول الصحابة : والله ما تجاوز أحدهم المكان الذي حده رسول الله ﷺ ﷺ ، وبعد أن تمّ دفن قتلى قريش في القليب ؛ ناداهم رسول الله ﷺ قائلاً : «يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة .. هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإنّي قد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً » ، فقال الصحابة : يا رسول الله أو تكلم أمواتاً ! ، فقال : والله ما أنتم بأسمع منهم ، ومن هنا نلاحظ أن معركة بدر تحتاج إلى دراسة وتبسيط لأبنائنا ، وكم تمنيت أن يدعى إلى هذه الندوة بعض طلاب المدارس والجامعات والمدرسين والمدرسات ليحضروا ويستمعوا لهذه الأمور التي توثقونها ، لأنها نعمة من نعم الله عز وجل .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة